سورة القيامة

مَكِّيَّةٌ، وهي تسع وثلاثون آية[1]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝٦﴾

قوله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ قيل: إن «لا» صلة، وجاز وقوعها في أوَّل السورة؛ لأن القرآن متصلٌ بعضُه ببعض، فهو في حكم كلام واحد، ولهذا قد يُذكَر الشيء في سورة ويجيء جوابه في سورة أخرى، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦]، وجوابُه في سورة أخرى: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾[2] [القلم: ٢]. ومعنى الكلام: أقسم بيوم القيامة. قاله ابن عباس وابن جبير وأبو عبيدة[3]. ومثلُه قول الشاعر:

تذكَّرتُ ليلَى فاعترتني صَبابةٌ ... فكاد صميمُ القلبِ لا يَتَقَطَّعُ[4]

وحكى أبو الليث السَّمرقنديُّ[5]: أجمع المفسرون أن معنى «لَا أُقْسِمُ»: أقسم. واختلفوا في تفسير «لا» قال بعضهم: «لا» زيادة في الكلام للزينة، ويجري في كلام

---

(١) الكشاف للزمخشري ٤/ ١٨٩ ، وذكر غيره أنها أربعون آية.

(٢) ينظر الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٣٤٩ - ٣٥٠ .

(٣) في مجاز القرآن ٢/ ٢٧٧ ، وأخرج قول ابن جبير الطبري ٢٣/ ٤٦٦ ، وأورد قول ابن عباس الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٥٠ .

(٤) النكت والعيون ٦/ ١٥٠ ، وفيه: ضمير، بدل: صميم - وقوله: صبابة، أي: شوق. القاموس (صبب).

(٥) في تفسيره ٣/ ٤٢٥ .

العرب زيادةُ «لا»، كما قال في آية أخرى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢] يعني أن تسجد. وقال بعضهم: «لا» ردٌّ لكلامهم حيث أنكروا البعث، فقال: ليس الأمر كما زعمتم.

قلت: وهذا قول الفرَّاء؛ قال الفرَّاء[١]: وكثير من النَحْويين يقولون: «لا» صِلة، ولا يجوز أن يُبدأ بجحد ثم يُجعل صلة؛ لأن هذا لو كان كذلك لم يُعرف خبرٌ فيه جحدٌ مِن خبر لا جحدَ فيه، ولكنَّ القرآن جاء بالرد على الذين أنكروا البعث والجنة والنار، فجاء الإقسام بالردِّ عليهم، وذلك كقولهم: لا والله لا أفعل، فـ «لا» ردٌّ لكلام قد مضى، وذلك كقولك: لا والله إن القيامة لحقٌّ، كأنك أكذبت قومًا أنكروه. وأنشد غير الفرَّاء لامرئ القيس:

فلا وأبيكِ ابنةَ العامِريِّ ... لا يَدَّعي القومُ أنِّي أفِرّ[٢]

وقال غُوَيَّة بن سُلْميّ:

ألا نادتْ أمامةُ باحتمالِ ... لِتَحزُنَني فلا بِكِ ما أبالي[٣]

وفائدتها توكيد القسم في الردّ. قال الفرّاء: وكانَ من لا يعرف هذه الجهة يقرأ: «لَأقسِمُ» بغير ألف، كأنها لامُ تأكيد دخلت على أقسم، وهو صواب؛ لأن العرب تقول: لَأقسم بالله[٤] وهي قراءة الحسن وابنِ كثير والزُّهريِّ وابن هُرْمز[٥].

---

(١) في معاني القرآن ٣/ ٢٠٧ .

(٢) ديوان امرئ القيس ص ١٥٤ .

(٣) أورده المرزوقي في شرح ديوان الحماسة ٢/ ١٠٠١ ، والزمخشري في الكشاف ٤/ ١٨٩ . ومعنى البيت كما في شرح ديوان الحماسة: يقول الشاعر: أظهرت هذه المرأة من نفسها ارتحالاً عني لتجلب عليَّ حزناً وغماً، ونادت بالفراق وكثرته على ألسنة الناس. ثم انصرف عن الإخبار عنها وأقبل عليها يخاطبها فقال: لا بكِ ما أبالي. اهـ وغُوَيَّة - ويقال: عُوَيَّة، بالعين - هو ابن سُلْميّ بن ربيعة بن ذَبَّان ابن عامر بن ثعلبة الضبي، من بني ثعلبة بن ذؤيب، جاهلي. معجم الشعراء للمرزباني ص ١٧٥ .

(٤) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٠٧ .

(٥) قراءة ابن كثير في السبعة ص ٦٦١ ، والتيسير ص ٢١٦ ، وقراءة الحسن في المحتسب ٢/ ٣٤١ ، وقراءة ابن هرمز وهو الأعرج في تفسير الطبري ٢٣/ ٤٦٥ ، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ٧٧ .

﴿بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: بيوم يقوم الناس فيه لربِّهم، ولله عز وجل أن يُقسم بما شاء.

﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ لا خلاف في هذا بين القراء، وهو أنه أقسم سبحانه بيوم القيامة تعظيمًا لشأنه. وعلى قراءة ابن كثير أقسم بالأولى ولم يُقسم بالثانية. وقيل: «ولا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامةِ» ردٌّ آخرُ، وابتداءُ قسمٍ بالنفس اللوَّامة، قال الثعلبيُّ: والصحيح أنه أقسم بهما جميعًا[١].

ومعنى: «بالنَّفْسِ اللوَّامَةِ» أي: بنفس المؤمن الذي لا تراه إلا يلوم نفسه، يقول: ما أردتُ بكذا؟ فلا تراه إلا وهو يعاتب نفسه. قاله ابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم. قال الحسن: هي والله نفسُ المؤمن، ما يُرَى المؤمن إلا يلوم نفسه: ما أردتُ بكلامي؟ ما أردتُ بأكلي؟ ما أردتُ بحديث نفسي؟ والفاجر لا يحاسب نفسه[٢]. وقال مجاهد: هي التي تلوم على ما فات وتندم، فتلوم نفسها على الشر: لِمَ فعلته؟ وعلى الخير: لِمَ لا تستكثر منه[٣]؟ وقيل: إنها ذاتُ اللَّوم. وقيل: إنها تلوم نفسها بما تلوم عليه غيرَها؛ فعلى هذه الوجوه تكون اللَّوَّامة بمعنى اللائمة، وهو صفةُ مدح، وعلى هذا يجيء القسم بها سائغًا حسنًا[٤]. وفي بعض التفسير: إنه آدمُ عليه السلام لم يَزَل لائمًا لنفسه على معصيته التي أُخرج بها من الجنة[٥].

وقيل: اللَّوَّامة بمعنى المَلُومة المذمومة، عن ابن عباس أيضاً[٦]. فهي صفة ذمٍّ وهو قولُ مَن نفى أن يكون قسمًا، إذ ليس للعاصي خَطَرٌ يُقْسَم به، فهي كثيرةُ اللَّوم. وقال مقاتل: هي نفس الكافر يلوم نفسه، ويتحسَّر في الآخرة على ما فرَّط في جنب

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٤٢١ دون نسبة، واختاره ابن جرير الطبري في تفسيره ٢٣/ ٤٦٨ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٨٧ لعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس.

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٥١ .

(٤) المصدر السابق.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٢ .

(٦) النكت والعيون ٦/ ١٥١ ، وزاد المسير ٨/ ٤١٦ .

الله[١]. وقال الفراء[٢]: ليس مِن نفسٍ محسنةٍ أو مسيئةٍ إلا وهي تلوم نفسها؛ فالمحسنُ يلوم نفسه أن لو كان ازداد إحسانًا، والمسيءُ يلوم نفسه ألا يكون ارعوى عن إساءته.

قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ فنعيدها خلقًا جديداً بعد أن صارت رُفاتًا؟[٣] قال الزجاج[٤]: أقسمَ بيوم القيامة وبالنفس اللَّوَّامة: لَيَجمعنَّ العظام للبعث، فهذا جواب القسم. وقال النحاس: جواب القسم محذوف، أي: لتُبْعثُنَّ، ودلَّ عليه قولُه تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ لِلإحياء والبعث؟ والإنسانُ هنا الكافر المكذِّب بالبعث[٥].

والآيةُ نزلت في عديِّ بن ربيعة قال للنبيِّ ﷺ: حدِّثْني عن يوم القيامة متى تكون، وكيف أمرُها وحالُها؟ فأخبره النبيُّ ﷺ بذلك، فقال: لو عاينتُ ذلك اليوم لَمْ أُصَدِّقك يا محمدُ ولم أؤمن بك، أوَيجمع الله العظام؟! ولهذا كان النبيُّ ﷺ يقول: «اللهمَّ اكفني جارَيِ السُّوءِ عديَّ بنَ ربيعة، والأخنسَ بنَ شَرِيق»[٦]. وقيل: نزلت في عدوِّ الله أبي جهلٍ حين أنكر البعث بعد الموت[٧]. وذَكَر العظام والمراد نفسُه كلُّها؛ لأن العظام قالَب الخَلْق[٨].

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٤٢١ ، والكشاف ٤/ ١٩٠ .

(٢) في معاني القرآن ٣/ ٢٠٨ .

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٥١ .

(٤) في معاني القرآن ٥/ ٢٥١ .

(٥) في (م): للبعث.

(٦) أسباب النزول ص ٤٧٧ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٢١ ، والكشاف ٤/ ١٩٠ ، وأخرجه الثعلبي كما في تخريج أحاديث الكشاف ص ١٨٠ .

(٧) نسب هذا القول ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤١٦ ، والرازي في تفسيره ٣٠/ ٢١٧ لابن عباس.

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٤٢١ .

﴿بَلَىٰ﴾ وقفٌ حَسَنٌ ثم تبتدئ: ﴿قَٰدِرِينَ﴾[١]. قال سيبويه: على معنى: [بلى] نجمعها قادرين[٢]، فـ«قادرين» حال من الفاعل المضمَر في الفعل المحذوف على ما ذكرناه من التقدير. وقيل: المعنى: بلى نقدِر قادرين. قال الفراء: «قادرين» نصب على الخروج من «نَجْمَع»، أي: نقدِر ونَقْوى «قادرين» على أكثرَ من ذلك[٣]. وقال أيضاً: يصلُح نصبه على التكرير، أي: «بَلَى» فَلْيحسبْنا قادرين[٤]. وقيل: المضمر (كنا)، أي: كنا قادرين في الابتداء، وقد اعترف به المشركون. وقرأ ابن أبي عَبْلة وابنُ السَّمَيْفَع: «بَلَى قَادِرُونَ»[٥] بتأويل: نحن قادرون.

﴿عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ البنان عند العرب: الأصابع، واحدُها بَنانة، قال النابغة:

بِمُخَضَّبٍ رَخْصٍ كأنَّ بَنانَهُ عَنَمٌ يَكادُ مِن اللَّطافة يُعْقَدُ[٦]

وقال عنترة:

وأنَّ الموتَ طَوْعُ يدي إذا ما وَصَلْتُ بَنانَها بِالْهِنْدُوانيْ[٧]

فنبَّه بالبنان على بقية الأعضاء. وأيضاً فإنها أصغرُ العظام، فخصَّها بالذكر لذلك. قال القتبيُّ والزجاج: وزعموا أن الله لا يبعث الموتى ولا يقدِر على جمع العظام، فقال الله تعالى: بلى قادرين على أن نعيد السُّلاميَّات على صغرها، ونؤلِّفَ بينها حتى تستوي، ومَن قَدَر على هذا، فهو على جمع الكبار أقدر[٨].

---

(١) إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٩٥٧ .

(٢) الكتاب ١/ ٣٤٦ ، وما بين حاصرتين منه.

(٣) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٠٨ .

(٤) ذكر هذا القول ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤١٧ ولم ينسبه.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٢ ، والبحر المحيط ٨/ ٣٨٥ .

(٦) ديوان النابغة الذبياني ص ٤٠ ، والعَنَم: شجر لين الأغصان لطيفها، يشبه به البنان. اللسان (عنم).

(٧) ديوان عنترة ص٧٢ ، وسلف ٣/ ٩٢ .

(٨) تأويل مشكل القرآن للقتبي ص ٢٦٩ ، وذكر قول الزجاج الواحديُّ في الوسيط ٤/ ٣٩١ ، والبغوي في تفسيره ٤/ ٤٢١ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤١٨ ، وينظر معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٥١ .

وقال ابن عباس وعامة المفسرين: المعنى «عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ»، أي: نجعل أصابع يديه ورجليه شيئًا واحداً كَخُفِّ البعير، أو كحافر الحمار، أو كظِلْف الخنزير، ولا يمكنه أن يعمل به شيئًا، ولكنَّا فرَّقنا أصابعه حتى يأخذ بها ما شاء[١].

وكان الحسن يقول: جعل لك أصابع فأنت تَبْسُطهنَّ، وتَقْبِضُهن[٢]، ولو شاء الله لجمعهنَّ؛ فلم تَتَّقِ الأرض إلا بكفيك[٣].

وقيل: أي: نقدر أن نعيد الإنسان في هيئة البهائم، فكيف في صورته التي كان عليها، وهو كقوله تعالى: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ . عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة: ٦٠-٦١].

قلت: والتأويل الأوَّل أشبه بمساق الآية. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ قال ابن عباس: يعني الكافرَ يكذِّب بما أمامه من البعث والحساب. وقاله عبد الرحمن بن زيد[٤]؛ ودليله: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: يسأل متى يكون؟! على وجه الإنكار والتكذيب. فهو لا يقنع بما هو فيه من التكذيب، ولكن يأثم[٥] لِمَا بين يديه. ومما يدلُّ على أن الفجور التكذيب ما ذكره القُتَبيُّ وغيرُه: أن أعرابيًّا قصد عمر بن الخطاب ﷺ وشكا إليه نَقْب إبله ودَبَرها[٦]، وسَأله أن يحمله على غيرها فلم يحمله، فقال الأعرابيّ:

أَقْسَمَ بالله أبو حفصٍ عُمَرْ ... ما مَسَّها من نَقَبٍ ولا دَبَرْ

فاغفِر له اللَّهمَّ إن كان فَجَرْ

(١) أخرج قول ابن عباس عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٣٣٣ ، والطبري ٢٣/ ٤٧١ ، وينظر النكت والعيون ٦/ ١٥٢ ، والوسيط ٤/ ٣٩١ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٢١ ، والكشاف ٤/ ١٩٠ ، وزاد المسير ٨/ ٤١٧ .

(٢) في (ظ): وتقبض بهن، وفي (م): وتقبضهن بهن.

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/ ٤٧٢ ، وفيه: فأنقيت الأرض بفيك، بدل: فلم تتق الأرض إلا بكفيك.

(٤) أخرج قولهما الطبري ٢٣/ ٤٧٧ .

(٥) في (د): يأتمر.

(٦) النَّقْب: قرحةٌ تخرج في الجنب، والجربُ. والدَّبَر: قرحة الدابة. القاموس (نقب) و(دبر).

يعني إن كان كذَّبني فيما ذكرت[١]. وعن ابن عباس أيضًا: يعجِّل المعصية ويسوِّف التوبة[٢]. وفي بعض الحديث قال: يقول: سوف أتوب ولا يتوب، فهو قد أخلف فكذب. وهذا قول مجاهد والحسنِ وعِكرمَة والسُّدِّيِّ وسعيدِ بن جبير، يقول: سوف أتوب، سوف أتوب، حتى يأتيَه الموت على أشرِّ أحواله[٣]. وقال الضحاك: هو الأمل يقول: سوف أعيش وأصيب من الدنيا ولا يذكر الموت[٤]. وقيل: أي يعزِم على المعصية أبدًا وإن كان لا يعيش إلا مدَّة قليلة. فالهاء على هذه الأقوال للإنسان.

وقيل: الهاء ليوم القيامة، والمعنى: بل يريد الإنسان ليكفر بالحقِّ بين يدي يوم القيامة[٥]. والفجورُ: أصلُه الميلُ عن الحقِّ.

﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أي: متى يومُ القيامة.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ قرأ نافع وأبان عن عاصم: «بَرَقَ» بفتح الراء[٦]، معناه: لَمَعَ بصره من شدَّة شخوصه، فتراه لا يَطْرِف. قال مجاهد وغيره: هذا عند الموت. وقال الحسن: هذا يوم القيامة[٧]. وقال: فيه معنى الجواب عما سأل عنه

---

(١) تأويل مشكل القرآن للقتبي ص ٢٧٠، ونقله المصنف عنه بواسطة الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٥٢.

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/ ٤٧٧ - ٤٧٨.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٤٢١ - ٤٢٢، وأخرج قول سعيد بن جبير الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٠٨، والطبري ٢٣/ ٤٧٦.

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ٤٧٦.

(٥) تفسير الطبري ٢٣/ ٢٧٧.

(٦) قراءة نافع في السبعة ص ٦٦١، والتيسير ص ٢١٦، ورواية أبان عن عاصم في السبعة. وقراءة عاصم المشهورة عنه: بَرِقَ، بكسر الراء.

(٧) أخرج قول مجاهد والحسن الطبري ٢٣/ ٤٨٠.

الإنسان كأنه قال[١]: يوم القيامة «إِذَا بَرِقَ البَصَرُ وخَسَفَ القَمَرُ».

والباقون بالكسر: «بَرِقَ»، ومعناه: تحيَّر فلم يَطرِف. قاله أبو عمرو والزجاج[٢] وغيرهما. قال ذو الرُّمَّة:

ولو أنَّ لُقْمَانَ الحكيمَ تَعَرَّضتْ لِعينيه مَيٌّ سافِرًا كاد يَبْرَقُ[٣]

الفرّاء والخليل: «بَرِقَ» بالكسر: فَزِع وبُهِت وتَحيَّر[٤]. والعرب تقول للإنسان المتحيِّر المبهوت: قد بَرِق فهو بَرِقٌ، وأنشد الفرَّاء:

فَنَفْسَكَ فانْعَ ولا تَنْعَني وداوِ الكُلُومَ ولا تَبْرَقِ[٥]

أي: لا تَفزَع من كثرة الكُلُوم التي بك. وقيل: بَرِقَ يَبرَق بالفتح: شقَّ عينيه وفتَحهما. قاله أبو عبيدة[٦]، وأنشد قول الكلابيّ:

لمَّا أتاني ابنُ عُمَيرٍ راغِبًا أعطيتُه عِيسًا صِهابًا فبَرَقْ[٧]

أي: فتح عينيه. وقيل: إنَّ كَسْرَ الراء وفتحَها لغتان بمعنًى.

قوله تعالى: ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾ أي: ذهب ضوؤه[٨]. والخسوفُ في الدنيا إلى انجلاء، بخلاف الآخرة، فإنه لا يعود ضوؤه. ويحتمل أن يكون بمعنى غاب؛ ومنه

---

(١) لفظة: قال، ليست في (م).

(٢) في معاني القرآن ٥/ ٢٥٢، وأخرج قول أبي عمرو الطبري ٢٣/ ٤٧٨ - ٤٧٩ بلفظ: (بَرِق) بالكسر، بمعنى: حار.

(٣) ديوان ذي الرُّمَّة ١/ ٤٦١، وقوله: سافراً، قال شارح الديوان: يعني بارزة الوجه مسفرته.

(٤) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٠٩، وكتاب العين للخليل ٥/ ١٥٦.

(٥) البيت لطَرَفَة وهو في ديوانه ص ٧٠، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ٢٠٩.

(٦) في مجاز القرآن ٢/ ٢٧٧.

(٧) أورده غير أبي عبيدة ابن السكيت في إصلاح المنطق ص ٥٢ ولم ينسبه، والطبري ٢٣/ ٤٧٩ ونسبه للكلابي. ووقع عند أبي عبيدة والطبري: ابن صبيح، بدل: ابن عمير. ووقع أيضاً عند ابن السكيت والطبري: عيساء منها، بدل: عيساً صهاباً. والعيس الصهاب: الإبل البيض يخالط بياضها شقرة. القاموس (عيس)، وينظر (صهب).

(٨) الوسيط ٤/ ٣٩١، وتفسير البغوي ٤/ ٤٢٢.

قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١].

وقرأ ابن أبي إسحاق وعيسى والأعرج: «وَخُسِفَ القَمَرُ» بضمِّ الخاء وكسر السين؛ يدل عليه: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾[١]. وقال أبو حاتم محمد بن إدريس: إذا ذهب بعضه فهو الكسوف، وإذا ذهب كلُّه فهو الخسوف.

﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ أي: جُمِع بينهما في ذهاب ضوئهما، فلا ضوءَ للشمس كما لا ضوءَ للقمر بعد خسوفه. قاله الفراء والزجاج[٢]. قال الفراء[٣]: ولم يقل: جُمِعتْ؛ لأن المعنى: جُمِع بينهما. وقال أبو عبيدة: هو على تغليب المذكر[٤]. وقال الكسائيُّ: هو محمول على المعنى، كأنه قال: الضوءان. المبرد: التأنيث غيرُ حقيقي[٥].

وقال ابن عباس وابن مسعود: جُمِع بينهما، أي: قُرِن بينهما في طلوعهما من المغرب أسودين مُكوَّرين مظلِمين مُقْرَنَيْن، كأنهما ثوران عَقيران. وقد مضى الحديث بهذا المعنى في آخر سورة الأنعام[٦]. وفي قراءة عبد الله: «وجُمِعَ بَيْنَ الشَّمْسِ والقَمَرِ»[٧]. وقال عطاء بن يسار: يُجمَعُ بينهما يوم القيامة ثم يُقذفان في البحر، فيكونان نارَ الله الكبرى[٨].

وقال علي وابن عباس: يُجعلان في [نور] الحُجُب[٩].

---

(١) ذكر هذه القراءة الزمخشري في الكشاف ٤/ ١٩١ ولم ينسبها، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٣ ونسبها لأبي حيوة.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٠٩ ، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٥٢ .

(٣) في معاني القرآن ٣/ ٢٠٩ .

(٤) ينظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٧٧ .

(٥) ينظر قول الكسائي والمبرد في إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٨١ ، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٧٧-٧٧٨ .

(٦) ٩/ ١٢٨ - ١٢٩ .

(٧) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٠٩ ، والطبري ٢٣/ ٤٨١ .

(٨) أخرجه الطبري ٢٣/ ٤٨٢ .

(٩) أورده أبو الليث في تفسيره ٣/ ٤٢٦ عن علي ﷺ وما بين حاصرتين منه.

وقد يُجمعان في نار جهنم[١]؛ لأنهما قد عُبِدا من دون الله، ولا تكون النار عذابًا لهما لأنهما جماد، وإنما يُفعَل ذلك بهما زيادةً في تبكيت الكافرين وحسرَتِهم. وفي مسند أبي داود الطيالسيِّ، عن يزيدَ الرَّقاشيِّ، عن أنس بن مالك يرفعه إلى النبيِّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشمس والقمر ثوران عَقيران في النار»[٢].

وقيل: هذا الجمع أنهما يجتمعان ولا يفترقان، ويُقرَّبان من الناس، فيلحقُهم العرق لشدَّة الحر؛ فكأن المعنى: يجمع حَرُّهما عليهم. وقيل: يُجمع الشمس والقمر، فلا يكون ثَمَّ تعاقُب ليل ولا نهار.

قوله تعالى: ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾ أي: يقول ابن آدم ـ ويقال: أبو جهل ـ أي: أين المهرب؟ قال الشاعر:

أين المفرُّ والكِباشُ تَنتطِحْ وأيُّ كَبْشٍ حاد عنها يَفْتَضِحْ[٣]

الماورديُّ[٤]: ويحتمل وجهين: أحدهما: أَيْنَ المَفَرُّ من الله استحياءً منه. الثاني: أَيْنَ المَفَرُّ من جهنم حذرًا منها. ويحتمل هذا القول من الإنسان وجهين: أحدهما: أن يكون من الكافر خاصَّةً في عَرْصة[٥] القيامة دون المؤمن؛ لثقة المؤمن ببشرى ربه. الثاني: أن يكون من قول المؤمن والكافر عند قيام الساعة لهول ما شاهدوا منها.

وقراءة العامة: «المَفَرُّ» بفتح الفاء واختاره أبو عبيد[٦] وأبو حاتم؛ لأنه مصدر. وقرأ ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة بكسر الفاء مع فتح الميم[٧]؛ قال الكسائي:

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٤٢٢ .

(٢) مسند أبي داود الطيالسي (٢١٠٣) وقد رواه عن درست بن زياد، عن يزيد بن أبان الرقاشي، به. ودرست ويزيد ضعيفان، كما في تقريب التهذيب.

(٣) أورده الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٥٣ وفيه: أفرّ، بدل: المفرّ.

(٤) في النكت والعيون ٦/ ١٥٣ .

(٥) في (خ) و(م): عرضة.

(٦) في (م): أبو عبيدة.

(٧) القراءات الشاذة ص ١٦٥ ، وفيه أن الحسن هو ابن يزيد، والمحتسب ٢/ ٣٤١ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٠٣ .

هما لغتان؛ مثل: مَدَبّ ومَدِبّ، ومَصَحّ ومَصِحّ. وعن الزُّهريِّ بكسر الميم وفتح الفاء[١]؛ المهدويّ: مَن فتح الميم والفاء من «المفرّ»؛ فهو مصدر بمعنى الفِرار، ومَن فتح الميم وكسر الفاء، فهو الموضع الذي يفرُّ إليه، ومَن كسر الميم وفتح الفاء؛ فهو الإنسان الجيِّد الفرار؛ فالمعنى: أين الإنسان الجيِّد الفِرار؟! ولن ينجو مع ذلك.

قلت: ومنه قول امرئ القيس:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا[٢]

يريد أنه حَسَن الكرّ والفرّ جَيِّدُه.

﴿كَلَّا﴾ أي: لا مفرَّ، فـ «كَلَّا» ردٌّ، وهو من قول الله تعالى، ثم فسر هذا الردَّ فقال: ﴿لَا وَزَرَ﴾ أي: لا ملجأ من النار. وكان ابن مسعود يقول: لا حِصن. وكان الحسن يقول: لا جبل. وابن عباس يقول: لا ملجأ. وابن جُبير: لا محيصَ ولا منعة[٣]. والمعنى في ذلك كلِّه واحد. والوَزَر في اللغة: ما يُلجأ إليه من حِصن أو جبل أو غيرهما؛ قال الشاعر:

لَعَمْرِيَ ما لِلْفتى مِن وَزَرْ ... مِنَ الموتِ يُدْرِكُه والكِبَرْ[٤]

قال السُّدِّيُّ: كانوا في الدنيا إذا فزِعوا، تحصَّنوا في الجبال، فقال الله لهم: لَا وَزَرَ يعصمكم يومئذ منِّي[٥]، قال طَرَفة:

وَلَقَدْ تَعْلَمُ بَكْرٌ أَنَّنَا ... فاضِلُوا الرَّأْيِ وفي الرَّوْعِ وَزَرْ[٦]

---

(١) المحتسب ٢/ ٣٤١، وجاء في القراءات الشاذة ص ١٦٥ أن الزهري قرأ: المَفِرّ، بكسر الفاء وفتح الميم.

(٢) ديوان امرئ القيس ص ١٩، وهو صدر بيت، وعجزه: كجلمود صخر حطه السيل من عل.

(٣) أخرج الأقوال السالفة عدا قول ابن جبير الطبري ٢٣/ ٤٨٤ - ٤٨٧، وقول ابن جبير في النكت والعيون ٦/ ١٥٤.

(٤) أورده أبو حيان في البحر المحيط ٨/ ٣٨٢، والسمين الحلبي في الدر المصون ١٠/ ٥٧٠، والألوسي في روح المعاني ٢٩/ ١٤٠ ولم ينسبوه، وجاء فيها: لعمرك، بدل: لعمري.

(٥) أورده البغوي في تفسيره ٤/ ٤٢٢.

(٦) ديوان طرفة ص٥٦، وفيه: وُقُر، بدل: وَزَرْ.

أي: ملجأ للخائف. ويُروى: وُقُرٌ.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ أي: المنتهى. قاله قتادة[١]. نظيره: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢]. وقال ابن مسعود: إلى ربك المصير والمرجع[٢]. وقيل: أي: المستقرُّ في الآخرة حيث يُقرُّه الله تعالى، إذ هو الحاكم بينهم. وقيل: إن «كَلَّا» مِن قول الإنسان لنفسه، إذا علم أنه ليس له مفرٌّ قال لنفسه: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ . إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾.

قوله تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي: يُخبَر ابن آدم بَرًّا كان أو فاجرًا ﴿بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ أي: بما أسلف من عمل سَيِّئ أو صالح، أو أخَّر من سنَّة سيِّئة أو صالحة يُعْمَل بها بعده. قاله ابن عباس وابن مسعود[٣]. وروى منصور عن مجاهد قال: ينبَّأُ بأوَّل عمله وآخره. وقاله النَّخَعيّ. وقال ابن عباس أيضاً: أي: بما قدَّم من المعصية، وأخَّر من الطاعة[٤]. وهو قول قتادة[٥]. وقال ابن زيد: «بِمَا قَدَّمَ» من أمواله لنفسه، «وَأَخَّرَ»: خلَّف للورثة[٦]. وقال الضحاك: ينبَّأُ بما قدَّم من فرضٍ، وأخَّر من فرض[٧].

قال القشيريُّ: وهذا الإنباء يكون في القيامة عند وزن الأعمال. ويجوز أن يكون عند الموت.

قلت: والأوَّل أظهر؛ لما خرجه ابن ماجه في سننه[٨] من حديث الزُّهريِّ، حدثني أبو عبد الله الأغرّ، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ مما يَلْحق

---

(١) أخرجه عنه الطبري ٢٣/ ٤٨٨ .

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٤٢٢ .

(٣) المصدر السابق، وأخرج قولهما الطبري ٢٣/ ٤٨٩ .

(٤) أخرج الأقوال السالفة الطبري ٢٣/ ٤٨٩ - ٤٩٠ .

(٥) أورده الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٥٤ .

(٦) الوسيط ٤/ ٣٩٢ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٢٢ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٠٤ ، وزاد المسير ٨/ ٤٢٠ ونسبوه لزيد بن أسلم.

(٧) النكت والعيون ٦/ ١٥٤ ، وزاد المسير ٨/ ٤٢٠ .

(٨) برقم (٢٤٢).

المؤمنَ من عمله وحسناته بعد موته علماً علَّمه ونَشَره، وولدًا صالحًا تركه، أو مصحفًا ورَّثه، أو مسجدًا بناه، أو بيتًا لابن السبيل بناه، أو نهرًا أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته[١] تلحقه من بعد موته».

وخرَّجه أبو نُعيم الحافظ بمعناه[٢] من حديث قتادة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «سبع يجري أجرُهنَّ للعبد بعد موته وهو في قبره: مَن علَّم علماً، أو أجرى[٣] نهرًا، أو حفر بئرًا، أو غرس نخلًا، أو بنى مسجدًا، أو وَرَّثَ مصحفًا، أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته». فقوله: «بعد موته وهو في قبره» نصٌّ على أن ذلك لا يكون عند الموت، وإنما يُخبَر بجميع ذلك عند وزن عمله، وإن كان يُبشَّر بذلك في قبره. ودلَّ على هذا أيضاً قولُه الحقُّ: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت:١٣]، وقولُه تعالى: ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل:٢٥] وهذا لا يكون إلا في الآخرة بعد وزن الأعمال. والله أعلم.

وفي الصحيح: «مَن سنَّ في الإسلام سنَّة حسنةً؛ كان له أجرُها وأجرُ من عمل بها بعده مِن غير أن يَنقُص من أجورهم شيء. ومَن سنَّ في الإسلام سنة سيئةً؛ كان عليه وزرُها ووزرُ مَن عمل بها بعده، مِن غير أن يَنقُص من أوزارهم شيء»[٤].

قوله تعالى: ﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ قال الأخفش: جَعَلَه هو البصيرة، كما تقول للرجل: أنت حجَّةٌ على نفسك[٥]. وقال ابن عباس: «بصيرَةٌ» أي: شاهد، وهو شهودُ جوارحِه عليه: يداه بما بَطَش بهما، ورجلاه بما مشى عليهما، وعيناه بما أبصر

---

(١) لفظة: وحياته، من (م) وسنن ابن ماجه.

(٢) في حلية الأولياء ٢/ ٣٤٤.

(٣) في النسخ الخطية: أو أكرى، والمثبت من (م) وحلية الأولياء.

(٤) قطعة من حديث جرير بن عبد الله ﷺ أخرجه مسلم (١٠١٧): (٦٩)، وسلف ٢/ ٣٣٦.

(٥) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٧٢١.

بهما[١]. والبصيرة: الشاهد. وأنشد الفرَّاء:

كأنَّ على ذي العقلِ عَيْنًا بصيرةً بِمَقْعَدِهِ أو مَنْظَرٍ هو ناظِرُهْ
يُحاذِرُ حتى يَحسِبَ الناسَ كلَّهمْ من الخوفِ لا تَخْفَى عليهم سَرائِرُهْ[٢]

ودليلُ هذا التأويل من التنزيل قولُه تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤].

وجاء تأنيث البصيرة لأن المراد بالإنسان ها هنا الجوارحُ، لأنها شاهدة على نفس الإنسان، فكأنه قال: بل الجوارحُ على نفس الإنسان بصيرة. قال معناه القتبيُّ[٣] وغيره. وناس يقولون: هذه الهاء في قوله: «بَصِيرَةٌ» هي التي يسمِّيها أهل الإعراب هاءَ المبالغة، كالهاء في قولهم: داهِية، وعلَّامة، وراوية. وهو قول أبي عُبيدة[٤].

وقيل: المراد بالبصيرة: الكاتبان اللَّذان يكتبان ما يكون منه من خير أو شرٍّ، يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ فيمن جعل المعاذير السُّتور. وهو قول السُّدِّيِّ والضحاك[٥].

وقال بعض أهل التفسير: المعنى: بل على الإنسان من نفسه بصيرةٌ، أي: شاهد، فحذف حرف الجر[٦].

ويجوز أن يكون «بصيرة» نعتًا لاسم مؤنث، فيكون تقديره: بل الإنسان على نفسه عينٌ بصيرة[٧]، وأنشد الفراء:

---

(١) أخرجه عنه الطبري ٢٣/ ٤٩١ - ٤٩٢ مختصراً.

(٢) البيتان للفرزدق وهما في ديوانه ص ٢٠٩ ، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ٢١١ ، ووقع في الديوان: الطِّنْء، بدل العقل. وفي معاني القرآن: الظَّن. والطِّنْء هو الريبة. القاموس (طنأ).

(٣) في تأويل مشكل القرآن ص ١٤٨ .

(٤) في (د) و(م) و(ي): أبي عبيد، والمثبت من (خ) و(ظ) والكلام في مجاز القرآن له ٢/ ٢٧٧ .

(٥) الوسيط ٤/ ٣٩٢ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٠٤ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٢٣ ، وزاد المسير ٨/ ٤٢٠ .

(٦) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢١١ .

(٧) تفسير البغوي ٤/ ٤٢٣ .

كأنَّ على ذِي العقل عينًا بصيرةً

وقال الحسن في قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ أي: بصيرٌ بعيوب غيره، جاهلٌ بعيوب نفسه[١].

﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ أي: ولو أَرْخَى سُتوره. والسِّتر بلغة أهل اليمن: مِعذار. قاله الضحاك. وقال الشاعر:

ولكنها ضَنَّتْ بِمَنزلِ ساعةٍ ... علينا وأَطَّتْ فَوْقَها بالمَعَاذِرِ[٢]

قال الزَّجَّاج: المعاذِر: السُّتور، والواحد مِعذار[٣]، أي: وإن أرخى ستره يريد أن يخفيَ عمله، فنفسُه شاهدة عليه.

وقيل: أي: ولو اعتذر فقال: لم أفعل شيئاً، لكان عليه من نفسه مَن يشهد عليه من جوارحه، فهو وإن اعتذر وجادل عن نفسه، فعليه شاهدٌ يكذِّب عذره. قاله مجاهد، وقتادة، وسعيدُ بن جُبير، وعبدُ الرحمن بن زيد، وأبو العالية، وعطاء[٤]، والفرَّاء[٥] والسُّدِّيُّ أيضًا ومقاتل. قال مقاتل: أي: لو أدلى بعذر أو حجة لم ينفعه ذلك. نظيرُه قولُه تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ [غافر: ٥٢]، وقولُه: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٦]، فالمعاذيرُ على هذا مأخوذٌ من العذر، قال الشاعر:

وإياكَ والأمرَ الذي إنْ توسَّعَتْ ... مَوَارِدُهُ ضاقتْ عليكَ المصادِرُ

فما حَسَنٌ أن يَعْذِرَ المرءُ نفسَهُ ... وليس له مِن سائِرِ الناسِ عاذرُ[٦]

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٤٢٦ ، وسلف الشعر قريباً.

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٥٥ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٥٣ .

(٤) أخرج قول مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وعبد الرحمن بن زيد الطبري ٢٣/ ٤٩٤ - ٤٩٦ ، وأورد قول عطاء البغوي في تفسيره ٤/ ٤٢٣ .

(٥) في معاني القرآن ٣/ ٢١١ .

(٦) البيتان في شرح ديوان الحماسة ٣/ ٨٩ ، والبيت الأول في دُرَّة الغوَّاص ص٢٩ .

واعتذر رجل إلى إبراهيمَ النَّخَعيِّ فقال له: قد عذرتك غير مُعتذِر، إن المعاذير يَشُوبها الكذب[١]. وقال ابن عباس: «وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ» أي: لو تجرَّد من ثيابه. حكاه الماورديُّ[٢].

قلت: والأظهر أنه الإدلاء بالحجة والاعتذارُ من الذَّنب، ومنه قول النابغة:

هـا إنَّ ذِي عِـذْرَةٌ إلَّا تـكُـنْ نَـفَـعـتْ فـإنَّ صـاحِـبَـهـا مُـشَـارِكُ الـنَّـكَـدِ[٣]

والدليل على هذا قولُه تعالى في الكفار: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، وقولُه تعالى في المنافقين: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١٨]. وفي الصحيح أنه يقول: «يا ربِّ آمنتُ بك وبكتابك وبرسولك، وصلَّيت وصمتُ وتصدَّقتُ، ويُثني بخيرٍ ما استطاع» الحديث، وقد تقدَّم في «حم السجدة» وغيرِها[٤]. والمعاذيرُ والمعاذِر: جمع مَعْذِرة، ويقال: عَذَرته فيما صنع أعذِره عُذْرًا وعُذُرًا، والاسم المَعْذِرة والعُذْرى، قال الشاعر:

إنِّي حُـدِدْتُ ولا عُـذْرِي لِـمَـحْـدُودِ[٥]

---

(١) الصحاح (عذر)، وأخرجه ابن المبارك في الزهد (٣٦٥)، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٤/ ٢٢٤ عن ابن عون.

(٢) في النكت والعيون ٦/ ١٥٥، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٤٩٥.

(٣) ديوان النابغة الذبياني ص ٣٧.

(٤) هو قطعة من حديث أبي هريرة ﷺ أخرجه مسلم (٢٩٦٨)، وسلف ٨/ ٣٤١، وليس في سورة حم السجدة.

(٥) الصحاح (عذر)، وأورده أيضاً أبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال ٢/ ٢١٠، دون نسبة، والبغدادي في الخزانة ١/ ٤٦٤ ونسبه للجموح الظَفَري، ووقع عندهما: لولا، بدل: إني. قال ابن منظور في اللسان (عذر): وصواب إنشاده: لولا حددت، هو على إرادة أن تقديره: لولا أن حددت؛ لأن لولا التي معناها امتناع الشيء لوجود غيره هي مخصوصة بالأسماء، وقد تقع بعدها الأفعال على تقدير أنْ. اهـ. وهذا عجز البيت وصدره: لا درَّ درُّك إني قد رميتهمُ. وقوله: حُدِدت، أي: حرمت ومنعت، والمعنى؛ يقول: قد رميتُ واجتهدت في قتالهم، ولكني حرمت النصر عليهم، ولا يقبل عذر المحروم. خزانة الأدب.

وكذلك العِذْرة وهي مثلُ الرِّكْبة والجِلْسَة؛ قال النابغة:

ها إنَّ تا عِذْرَةٌ إلَّا تَكُنْ نَفَعَتْ فإنّ صاحِبَها قَدْ تاه في الْبَلَدِ[1]

وتضمَّنت هذه الآيةُ خمسَ مسائل:

الأولى: قال القاضي أبو بكر بنُ العربيّ[2]: قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ . وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾: فيها دليلٌ على قَبول إقرار المرء على نفسه؛ لأنها شهادةٌ[3] منه عليها، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤]. ولا خلافَ فيه؛ لأنه إخبارٌ على وجهٍ تنتفي التُّهمة عنه؛ لأن العاقل لا يكذِب على نفسه، وهي المسألة:

الثانية: وقد قال سبحانه في كتابه الكريم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]، ثم قال تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ١٠٢] وهو في الآثار كثير، قال النبيُّ ﷺ: «واغْدُ يا أُنَيس على امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها»[4].

فأمَّا إقرارُ الغير على الغير بوارث أو دَين فقال مالك: الأمرُ المجتمعُ عليه عندنا في الرجل يَهْلِك وله بنون، فيقول أحدهم: إن أبي قد أقرَّ أنَّ فلانًا ابنُه، أنَّ ذلك النسب لا يثبت بشهادة إنسان واحد، ولا يجوز إقرارُ الذي أقرَّ إلا على نفسه في

---

(١) الصحاح (عذر)، وأورده أيضاً ابن يعيش في شرح المفصل ٨/ ١١٣، والبغدادي في الخزانة ٥/ ٤٥٩ وفيهما: إن لم تكن، بدل: إلَّا تكن. وسلف قريباً بغير هذه الرواية.

(٢) في أحكام القرآن ٤/ ١٨٧٨ .

(٣) في (م): بشهادة.

(٤) أخرجه البخاري (٢٣١٤ – ٢٣١٥)، ومسلم (١٦٩٧ – ١٦٩٨) عن زيد بن خالد الجهني وأبي هريرة رضي الله عنهما، وسلف ٦/ ١٤٤، الكلام في أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٧٨ .

حصته من مال أبيه، يعطي الذي شَهِد له قَدْرَ[١] الذي يصيبه من المال الذي في يده. قال مالك: وتفسيرُ ذلك: أن يَهْلِك الرجل ويترك ابنين ويترك ستَّ مئةِ دينار، [فيأخذُ كلُّ واحد منهما ثلاثَ مئةِ دينار]، ثم يشهدُ أحدهما بأنَّ أباه الهالكَ أقرَّ أن فلانًا ابنُه، فيكونُ على الذي شَهِد للذي استُلْحِق[٢] مئةُ دينار، وذلك نصفُ ميراث المستلحَق لو لَحِقَ، وإن أقرَّ له الآخر أخذ المئة الأخرى، فاستكمل حقَّه وثَبَتَ نسبُه[٣].

وهو أيضًا بمنزلة المرأة تُقِرُّ بالدَّين على أبيها أو على زوجها، وينكر ذلك الورثة، فعليها أن تدفع إلى الذي أقرَّت له قَدْرَ الذي يُصيبها من ذلك الدَّين لو ثبت على الورثة كلِّهم، إن كانت امرأةً فورِثت الثُّمن؛ دفعت إلى الغريم ثُمُن دَينه، وإن كانت ابنةً ورثت[٤] النصف؛ دفعت إلى الغريم نصف دَينه، على حسابِ هذا يدفع إليه مَن أقرَّ له من النساء.

الثالثة: لا يصح الإقرار إلا مِن مكلَّف، لكن بشرط ألا يكون محجورًا عليه؛ لأن الحجر يُسْقِط قولَه إن كان لحقِّ نفسه، فإن كان لحقِّ غيره، كالمريض، كان منه ساقط ومنه جائز. وبيانُه في مسائل الفقه[٥].

وللعبد حالتان في الإقرار: إحداهما في ابتدائه، ولا خلاف فيه على الوجه المتقدِّم. والثانية في انتهائه، وذلك مثلُ إبهام الإقرار، وله صورٌ كثيرة، وأمهاتُها ستٌّ:

الصورة الأولى: أن يقول: له عندي شيء، قال الشافعي: لو فَسَّره بتمرة أو كِسْرة قُبِل منه. والذي تقتضيه أصولُنا أنه لا يُقبَل إلا فيما له قَدْر، فإذا فسَّره به قُبِل منه وحَلَف عليه.

---

(١) بعدها في (د) و(م): الدَّين.

(٢) في (م): استحقَّ.

(٣) الاستذكار ٢٢/١٩٦ وما بين حاصرتين وما سيأتي إلى آخر المسألة منه.

(٤) في (ظ): فورثت.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٤/١٨٧٨ - ١٨٨٠، وما سيأتي إلى آخر المسألة منه.

الصورة الثانية: أن يفسِّر هذا بخمر أو خنزير، أو ما لا يكون مالًا في الشريعة، لم يُقْبل باتفاق ولو ساعده عليه المُقَرُّ له.

الصورة الثالثة: أن يفسِّره بمختلَف فيه مثل جلد الميتة أو سِرْقين[١] أو كلب، فإن الحاكم يحكم عليه في ذلك بما يراه من ردٍّ وإمضاء، فإن ردَّه لم يَحكم عليه حاكم آخرُ غيره بشيء، لأن الحكم قد نفذ بإبطاله. وقال بعض أصحاب الشافعيّ: يلزم الخمر والخنزير، وهو قول باطل. وقال أبو حنيفة: إذا قال: له عليَّ شيءٌ، لم يُقبل تفسيره إلا بِمَكيل أو موزون، لأنه لا يَثْبُت في الذِّمة بنفسه إلا هما. وهذا ضعيف؛ فإنَّ غيرَهما يثبت في الذمة إذا وجب ذلك إجماعًا.

الصورة الرابعة: إذا قال: له عندي مالٌ، قُبِل تفسيره بما يكون مالًا[٢] في العادة، كالدِّرهم والدِّرهمين، ما لم يَجِئ من قرينة الحال ما يحكم عليه بأكثر منه.

الصورة الخامسة: أن يقول: له عندي مالٌ كثير أو عظيم، فقال الشافعيُّ: يُقبل في الحبَّة. وقال أبو حنيفة: لا يُقبَل إلا في نصاب الزكاة. وقال علماؤنا في ذلك أقوالاً مختلفة، منها نصابُ السَّرقة والزكاة والدِّية، وأقلُّه عندي نصابُ السَّرقة، لأنه لا يُبَان عُضوُ المسلم إلا في مال عظيم، وبه قال أكثر الحنفية. ومَن تعجب فليتعجَّب[٣] لقول اللَّيث بن سعد: إنه لا يُقبل في أقلَّ من اثنين وسبعين درهمًا. فقيل له: ومن أين تقول ذلك؟ قال: لأن الله تعالى قال: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ[٤]﴾ [التوبة: ٢٥]، وغزواتُه وسراياه كانت اثنتين وسبعين. وهذا لا يصحّ؛ لأنه أخرج حُنَيناً منها، وكان حقُّه أن يقول: يُقَبل في أَحَدٍ وسبعين، وقد قال الله تعالى: ﴿ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١]، وقال: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ﴾

---

(١) السِّرقين هو الزِّبل، معرب سَركين. القاموس (سرقن).

(٢) في النسخ: بما لا يكون مالاً. والمثبت من أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٧٩، والكلام منه، وينظر البناية في شرح الهداية ٧/ ٥٤١، وعقد الجواهر الثمينة ٢/ ٧٠١، والمجموع ١٨/ ٥٤٦، والمغني ٧/ ٣٠٥.

(٣) في النسخ عدا (ظ): ومن تعجب فيتعجب، والمثبت من (ظ).

(٤) بعدها في (د) و(م): ويوم حنين.

[النساء: ١١٤]، وقال: ﴿وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٨].

الصورة السادسة: إذا قال: له عندي عشرةٌ، أو مئةٌ، أو ألف، فإنه يُفَسِّرها بما شاء ويُقْبل منه، فإن قال: ألفُ درهم، أو مئةٌ وعبد، أو مئةٌ وخمسون درهمًا، فإنه يُفسِّر المبهَم ويُقبل منه، وبه قال الشافعيّ. وقال أبو حنيفة: إنْ عَطَفَ على العدد المبهم مكيلاً أو موزوناً، كان تفسيرًا؛ كقوله: مئةٌ وخمسون درهمًا؛ لأن الدِّرهم تفسيرٌ للخمسين، والخمسينَ تفسيرٌ للمئة. وقال ابن خَيران الإصْطَخْري من أصحاب الشافعي[١]: الدرهم لا يكون تفسيرًا في المئة والخمسين إلا للخمسين خاصة ويُفسِّر هو المئة بما شاء.

المسألة الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ ومعناه: لو اعتذر بعد الإقرار لم يُقبل منه. وقد اختلف العلماء فيمن رجع بعد ما أقرَّ في الحدود التي هي خالصُ حقِّ الله، فقال أكثرهم منهم الشافعيُّ وأبو حنيفة: يُقبلُ رجوعه بعد الإقرار. وقال به مالك في أحد قوليه، وقال في القول الآخر: لا يقبل إلا أن يذكر لرجوعه وجهًا صحيحًا. والصحيحُ جوازُ الرجوع مطلقًا؛ لِمَا روى الأئمة منهم البخاريُّ ومسلمٌ أن النبيَّ ﷺ ردَّ المُقرَّ بالزنى مرارًا أربعاً كلَّ مرَّة يُعرِض عنه، ولَمَّا شهد على نفسه أربع مرات، دعاه النبيُّ ﷺ وقال: «أبكَ جنون؟». قال: لا. قال: «أُحْصِنْت؟». قال: نعم[٢].

وفي حديث البخاريِّ: «لعلَّكَ قَبَّلت، أو غمزت، أو نظرتَ»[٣].

وفي النَّسائيِّ وأبي داود[٤]: حتى قال له في الخامسة: «أنِكتَها؟»[٥]. قال: نعم. قال: «حتى غاب ذلك منك في ذلك منها؟». قال: نعم. قال: «كما يغيب المِرود في

---

(١) هو أبو علي الحسين بن صالح بن خَيْران، البغدادي الشافعي، شيخ الشافعية، توفي سنة عشرين وثلاث مئة. سير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٨ .

(٢) صحيح البخاري (٦٨٢٠)، و(٦٨٢٥)، وصحيح مسلم (١٦٩١): (١٦) من حديث جابر وأبي هريرة رضي الله عنهما. وأخرجه عنهما أيضاً أحمد (٩٨٤٥) و(١٤٤٦٢).

(٣) صحيح البخاري (٦٨٢٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وهو عند أحمد (٢٤٣٣).

(٤) النسائي في السنن الكبرى (٧١٢٦)، وسنن أبي داود واللفظ له (٤٤٢٨) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٥) في (م): أجامعتها، وفي سنن النسائي: أنكحتها.

المُكْحُلة والرِّشاء في البئر؟». قال: نعم. ثم قال: «هل تدري ما الزنى؟» قال: نعم، أتيت منها حرامًا مثلَ ما يأتي الرجل من أهله حلالًا. قال: «فما تريد مني بهذا القول؟[١]» قال: أريد أن تطهرني. قال: فأمر به فَرُجم.

قال الترمذيُّ وأبو داود: فلمَّا وجد مَسَّ الحجارة، فَرَّ يشتدُّ، فضربه رجل بلَحْي جَمَل، وضربه الناس حتى مات. فقال النبيُّ ﷺ: «هَلَّا تركتموه»[٢].

وقال أبو داود والنَّسائيُّ: ليتثبَّت رسول الله ﷺ، فأمَّا لترك حَدٍّ فلا[٣]. وهذا كلُّه طريقٌ للرجوع وتصريحٌ بقَبوله. وفي قوله عليه الصلاة والسلام: «لعلك قَبَّلْتَ أو غمزتَ» إشارةٌ إلى قول مالك: إنه يُقبل رجوعه إذا ذكر وجهًا[٤].

الخامسة: وهذا في الحرِّ المالكِ لأمر نفسه، فأمَّا العبدُ، فإنَّ إقراره لا يخلو من أحد قسمين: إمَّا أن يُقِرَّ على بدنه، أو على ما في يده وذمته؛ فإن أقرَّ على بدنه[٥] فيما فيه عقوبةٌ من القتل فما دونه، نَفَذَ ذلك عليه. وقال محمد بن الحسن: لا يقبل ذلك منه؛ لأن بدنه مستغرَقٌ لحق السيد، وفي إقراره إتلاف حقوق السيد في بدنه، ودليلُنا قوله ﷺ: «مَن أصاب من هذه القاذورات شيئًا، فليستتر بستر الله، فإنَّ مَن يُبْد لنا صفحته، نُقِم عليه الحدّ»[٦]. المعنى: أن محلَّ العقوبة أصلُ الخِلقة، وهي الدُّمْية[٧] في الآدمية، ولا حقَّ للسيِّد فيها، وإنما حقُّه في الوصف والتَّبَع، وهي

---

(١) قوله: بهذا القول، ليست في (م)، وجاءت في (د) و(ظ): هذا القول.

(٢) أخرجه الترمذي واللفظ له (١٤٢٨) من حديث أبي هريرة ﷺ. وأخرجه أبو داود (٤٤١٩) من حديث نُعَيم بن هزَّال ﷺ. وقوله: فرَّ يشتد، أي: يسعى.

(٣) سنن أبي داود (٤٤٢٠)، والنسائي في الكبرى (٧١٦٩) واللفظ له من حديث جابر ﷺ.

(٤) المسألة بتمامها في أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٨٠ - ١٨٨١.

(٥) في (د) و(م): فإن أقر على ما في بدنه.

(٦) أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٨٢٥ عن زيد بن أسلم مرسلاً. وأخرجه الحاكم ٤/ ٢٤٤ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٧) في (د): الزينة، وفي (ظ) و(م) و(ي): الذِّمة، والمثبت من (ز) وهو الموافق لما في أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٨١ - ١٨٨٢ والمسألة بتمامها منه.

المالية الطارئةُ عليه، ألا ترى أنه لو أقرَّ بمال لم يُقبل، حتى قال أبو حنيفة: إنه لو قال: سرقت هذه السلعة إنه[١] تقطع يده ويأخذها المُقرُّ له. وقال علماؤنا: السِّلْعة للسيِّد ويُتبَع العبدُ بقيمتها إذا عَتَق؛ لأن مال العبد للسيِّد إجماعًا، فلا يُقبل قولُه فيه ولا إقرارهُ عليه، لا سيما وأبو حنيفةَ يقول: إنَّ العبد لا مِلك له. ولا يصحُّ أن يَمْلِك ولا يُمَلَّك، ونحن وإن قلنا: إنه يصحُّ تملُّكه، ولكن جميع ما في يده لسيده بإجماع على القولين. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ۝٢١﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ في الترمذي: عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه القرآن يحرِّكُ به لسانه، يريد أن يحفظه، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ قال: فكان يحرِّك به شفتيه. وحرَّك سفيان شفتيه. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح[٢].

ولفظ مسلم عن ابن جُبير عن ابن عباس قال: كان النبيُّ ﷺ يعالج من التنزيل شدَّة، كان يحرِّك شفتيه، فقال لي ابن عباس: أنا أحرِّكهما كما كان رسول الله ﷺ يحرِّكهما، فقال سعيد: أنا أحركهما كما كان ابن عباس يحرِّكهما، فحرَّك شفتيه، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ . إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ قال: جَمْعَهُ في صدرك ثم تقرؤه. ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ قال: فاسْتَمِع له وأنصت. ثم إنَّ علينا أن نقرأه، قال: فكان رسول الله ﷺ[٣] إذا أتاه جبريلُ عليهما السلام استمع، وإذا انطلق

---

(١) بعدها في (د) و(م): لم. ينظر بدائع الصنائع ٩/ ٣٢٨.

(٢) سنن الترمذي (٣٣٢٩) وسفيان هو ابن عيينة أحد رجال الإسناد، وأخرجه أيضاً أحمد (١٩١٠)، والبخاري (٤٩٢٧) مختصراً.

(٣) بعدها في (م): بعد ذلك.

جبريل عليه السلام قرأه النبيُّ ﷺ كما أقرأه. خرَّجه البخاريُّ أيضًا[١].

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه: ١١٤]، وقد تقدَّم[٢].

وقال عامرٌ الشَّعْبي: إنما كان يعجل بذكره إذا نزل عليه من حُبِّه له، وحلاوته في لسانه، فنُهي عن ذلك حتى يجتمع؛ لأن بعضه مرتبط ببعض[٣].

وقيل: كان عليه الصلاة والسلام إذا نزل عليه الوحي، حرَّك لسانه مع الوحي مخافة أن ينساه، فنزلت: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه: ١١٤]، ونزل: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: ٦]، ونزل: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾. قاله ابن عباس[٤].

«وقرآنه» أي: وقراءتَه عليك. والقراءةُ والقرآن في قول الفراء[٥] مصدران. وقال قتادة: «فَاتَّبِعْ قُرْآنه» أي: فاتبع شرائعه وأحكامه[٦].

وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ أي: تفسيرَ ما فيه من الحدود والحلال والحرام. قاله قتادة[٧]. وقيل: ثم إنَّ علينا بيانَ ما فيه من الوعد والوعيد وتحقيقَهما. وقيل: أي: إن علينا أن نبيِّنه بلسانك[٨].

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ قال ابن عباس: أي: إنَّ أبا جهل لا يؤمن بتفسير القرآن وبيانه[٩]. وقيل: أي: «كَلّا» لا يُصلُّون ولا يزكُّون، يريد كفَّارَ مكة.

---

(١) صحيح مسلم (٤٤٨): (١٤٨)، وصحيح البخاري (٥)، وهو عند أحمد أيضاً (٣١٩١).

(٢) ١٤/ ١٤٤ - ١٤٥ .

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٥٥ ، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٤٩٨ مختصراً.

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ٤٩٩ مختصراً.

(٥) في معاني القرآن له ٣/ ٢١١ .

(٦) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٣٣٤ ، والطبري ٢٣/ ٥٠٣ بنحوه.

(٧) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٠٤ بنحوه.

(٨) أخرج هذا القول الطبري ٢٣/ ٥٠٤ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٩) نسب هذا القول الواحدي في الوسيط ٤/ ٣٩٣، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤٢٢ لعطاء.

﴿بَلْ تُحِبُّونَ﴾ أي: بل تحبُّون يا كفارَ أهل مكة ﴿ٱلْعَاجِلَةَ﴾ أي: الدارَ الدنيا والحياةَ فيها ﴿وَتَذَرُونَ﴾ أي: تَدَعُون ﴿ٱلْآخِرَةَ﴾ والعملَ لها. وفي بعض التفسير قال: الآخرة: الجنة.

وقرأ أهل المدينة والكوفيون: «بَلْ تُحِبُّونَ»، «وَتَذَرُونَ» بالتاء فيهما على الخطاب[1]، واختاره أبو عبيد، قال: ولولا الكراهةُ لِخِلاف هؤلاء القراء، لقرأتُها بالياء، لِذِكر الإنسان قبل ذلك. الباقون بالياء على الخبر، وهو اختيار أبي حاتم. فَمَن قرأ بالياء فردًّا على قوله تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ وهو بمعنى الناس. ومَن قرأ بالتاء فعلى أنه واجههم بالتقريع؛ لأنَّ ذلك أبلغُ في المقصود؛ نظيره: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٧].

قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ الأوَّلُ من النَّضْرة التي هي الحُسْن والنَّعمة، والثاني من النظر، أي: وجوهُ المؤمنين مشرقةٌ حسنة ناعمة، يقال: نَضَرهم اللهُ يَنضُرُهم نَضْرة ونَضَارة، وهو الإشراق والعيش والغنى، ومنه الحديث: «نَضَّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها»[2].

«إِلَى رَبِّهَا»: إلى خالقها ومالكها «نَاظِرَةٌ»، أي: تنظر إلى ربها، على هذا جمهور العلماء. وفي الباب حديث صُهَيب خرَّجه مسلم[3] وقد مضى في «يونس»[4] عند قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [الآية: ٢٦]. وكان ابن عمر يقول: أكرمُ أهل

(١) السبعة ص ٦٦١، والتيسير ص ٢١٧.

(٢) سلف ٢/١٢٨.

(٣) برقم (١٨١) وهو قوله ﷺ: إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟... إلى أن قال: فيكشف الحجاب، فما أُعْطُوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل.

(٤) ١٠/٤٨٣.

الجنة على الله مَن ينظر إلى وجهه غُدْوة وعَشية، ثم تلا هذه الآية: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[١]. وروى يزيدُ النَّحْوي عن عِكْرمة قال: تنظر إلى ربها نظرًا[٢]. وكان الحسن يقول: نَضَرت وجوههم ونظروا إلى ربِّهم[٣].

وقيل: إن النظر هنا انتظار ما لهم عند الله من الثواب. ورُوي عن ابن عمر ومجاهد[٤]. وقال عكرمة: تنتظر أمر ربها. حكاه الماورديُّ عن ابن عمر وعِكرمة أيضًا[٥]. وليس معروفًا إلا عن مجاهد وحده. واحتجوا بقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام:١٠٣]. وهذا القول ضعيف جدًّا، خارجٌ عن مقتضى ظاهر الآية والأخبار.

وفي الترمذيِّ[٦] عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهلِ الجنة منزلة لَمَن ينظر إلى جِنانه وأزواجه وخَدمه وسُرره مسيرةَ ألفِ سنة، وأكرمُهم على الله مَن ينظر إلى وجهه غُدْوة وعَشيَّة». ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: هذا حديث غريب. وقد رُويَ عن ابن عمر ولم يرفعه.

وفي صحيح مسلم عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه، عن النبيِّ ﷺ قال: «جنتانِ من فضة، آنيتُهما وما فيهما، وجنتانِ من ذهب، آنيتُهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم جلَّ وعزَّ إلا رِداءُ الكِبْرياء على وجهه في جَنَّة عدن»[٧].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٥٣).

(٢) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية ص ٥٣ ، والطبري ٢٣/ ٥٠٧ ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٨٠٣).

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٠٧ بنحوه.

(٤) أخرجه عن مجاهد الطبري ٢٣/ ٥٠٨ .

(٥) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٥٦ عن عكرمة فقط، وحكى عن ابن عمر ومجاهد: إلى ربها ناظرة: إلى ثواب ربها.

(٦) برقم (٣٣٣٠).

(٧) صحيح مسلم (١٨٠): (٢٩٦)، وهو عند أحمد (١٩٦٨٢)، والبخاري (٧٤٤٤)، وقوله: وما بين =

وروى جرير بن عبد الله قال: كنَّا عند رسول الله ﷺ جلوسًا، فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «إنكم سترون ربكم عِيانًا كما ترون هذا القمر، لا تُضَامُون في رؤيته؛ فإن استطعتم ألَّا تُغلَبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، فافعلوا». ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩] متَّفق عليه. وخرَّجه أيضًا أبو داود والترمذيُّ وقال: حديث حسن صحيح[١].

وخرَّج أبو داود عن أبي رَزِين العُقَيليِّ قال: قلت: يا رسول الله، أكلُّنا يرى ربه[٢] مُخْلِيًا به يوم القيامة؟ قال: «نعم يا أبا رَزِين» قال: وما آيةُ ذلك في خَلْقه؟ قال «يا أبا رَزِين، أليس كلُّكم يَرَى القمر[٣] ليلة البدر مُخْلِيًا به؟». قلنا: بلى. قال: «فالله أعظم[٤]، إنما[٥] هو خلق من خلق الله، يعني القمر، فالله أجلُّ وأعظم[٦]».

وفي كتاب النَّسائيِّ[٧] عن صُهَيب قال: «فيكشِفُ الحجاب فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئًا أحبَّ إليهم من النظر، ولا أقرَّ لأعينهم».

وفي التفسير لأبي إسحاق الثَّعلبيِّ عن أبي الزُّبير[٨] عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «يتجلَّى ربُّنا عزَّ وجلَّ حتى ينظروا إلى وجهه، فيخرُّون له سُجَّدًا، فيقول: ارفعوا

= القوم وبين أن ينظروا... قال النووي في شرحه لصحيح مسلم ٣/ ١٦: قال العلماء: كان النبي ﷺ يخاطب العرب بما يفهمونه، ويقرب الكلام إلى أفهامهم، ويستعمل الاستعارة وغيرها من أنواع المجاز ليقرب متناولها، فعبر ﷺ عن زوال المانع ورفعه عن الأبصار بإزالة الرداء.

(١) صحيح البخاري (٥٥٤)، وصحيح مسلم (٦٣٣)، وسنن أبي داود (٤٧٢٩)، وسنن الترمذي (٢٥٥١)، وسلف ٤/ ١٨٠.

(٢) بعدها في (م) وسنن أبي داود: قال ابن معاذ. قلنا: وهو عبيد الله بن معاذ أحد رجال الإسناد.

(٣) بعدها في (م) وسنن أبي داود: قال ابن معاذ.

(٤) بعدها في سنن أبي داود: قال ابن معاذ، قال.

(٥) في (م): فإنما.

(٦) سنن أبي داود (٤٧٣١)، وهو عند أحمد (١٦١٨٦)، وابن ماجه (١٨٠).

(٧) في السنن الكبرى (١١١٧٠)، وسلف ١٠/ ٤٨٣.

(٨) في (م): عن الزبير.

رؤوسكم، فليس هذا بيوم عبادة»[١]. قال الثعلبيُّ: وقولُ مجاهد إنها بمعنى: تنتظر الثواب من ربِّها ولا يراه شيء من خَلقه، فتأويلٌ مدخول؛ لأن العرب إذا أرادت بالنظر الانتظار، قالوا: نَظْرتُه، كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ [الزخرف:٦٦]، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ [الأعراف:٥٣]، و﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ [يس:٤٩]، وإذا أرادتْ به التفكُّر والتدبُّر قالوا: نظرتُ فيه. فأمَّا إذا كان النظر مقرونًا بذكر إلى، وذكرِ الوجه، فلا يكون إلا بمعنى الرؤية والعِيان.

وقال الأزهريُّ: إنَّ قول مجاهد: تنتظر ثواب رَبِّها، خطأٌ؛ لأنه لا يقال: نظر إلى كذا، بمعنى الانتظار، وإنَّ قول القائل: نظرت إلى فلان، ليس إلا رؤيةَ عين، كذلك تقوله العرب؛ لأنهم يقولون: نظرت إليه: إذا أرادوا نظر العين، فإذا أرادوا الانتظار، قالوا: نَظَرْتُه[٢]، قال:

فإنَّكُما إنْ تَنْظُراني ساعةً ... مِن الدَّهْرِ تَنْفَعْنِي لَدَى أُمِّ جُنْدُبِ[٣]

لمَّا أراد الانتظار قال: تنظراني، ولم يقل: تنظران إليَّ، وإذا أرادوا نظر العين قالوا: نظرت إليه، قال:

نظرتُ إليها والنُّجُومُ كأنَّها ... مَصابيحُ رُهْبانٍ تُشَبُّ لِقُفَّالِ[٤]

وقال آخر:

نظرتُ إليها بالمُحصَّبِ مِنْ مِنًى ... ولِيْ نَظَرٌ[٥] لولا التَّحَرُّجُ عارِمُ

---

(١) أخرجه الدارقطني في كتاب الرؤية (٥٢) وفيه أحمد بن محمد بن عمر بن يونس اليمامي، كذبه أبو حاتم وابن صاعد. وقال الدارقطني: ضعيف، وقال مرة: متروك. وقال ابن عدي: حدث عن الثقات بمناكير وكان ينسخ عجائب. ميزان الاعتدال ١/ ١٤٣ .

(٢) ينظر تهذيب اللغة ١٤/ ٣٧١ .

(٣) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص ٤١ ، وسلف ٢/ ٢٩٨ .

(٤) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص ٣١ ، وقوله: تُشَبُّ، أي: توقد. والقُفَّال جمع قافل، وهو الراجع من السفر. ينظر اللسان (شبب) و(قفل).

(٥) في النسخ عدا (ظ): نظرة، وسقط هذا الموضع من (ظ)، والمثبت من ديوان عمر بن أبي ربيعة ص١٨٢ .

وقال آخر:

إِنِّي إِلَيكِ لِمَا وَعَدتِ لَنَاظِرٌ نَظَرَ الفَقِيرِ إِلَى الغَنِيِّ المُوسِرِ[١]

أي: إني أنظر إليك بِذُلٍّ، لأنَّ نظر الذُّلِّ والخضوع أرقُّ لقلب المسؤول.

فأمَّا ما استدلوا به من قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فإنما ذلك في الدنيا. وقد مضى القول فيه في موضعه مستوفًى[٢].

وقال عطية العَوْفي: ينظرون إلى الله، لا تحيط أبصارهم به من عظمته، ونظرُه يحيط بهم[٣]، يدل عليه: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾[٤] [الأنعام: ١٠٣].

قال القشيريُّ أبو نصر: وقيل: «إلى» واحد الآلاء، أي: نِعَمهُ منتظرة، وهذا أيضاً باطل؛ لأن واحد الآلاء يكتب بالألف لا بالياء، ثم الآلاء: نِعَمُه الدُّفَّع، وهم في الجنة لا ينتظرون دفعَ نِعمة[٥] عنهم، والمنتظرُ للشيء مُتنغِّصُ العيش، فلا يوصف أهل الجنة بذلك.

وقيل: أضاف النظر إلى الوجه، لأن العين في الوجه[٦]، وهو كقوله تعالى: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة: ٢٥] والماءُ يجري في النهر لا النهر. ثم قد يُذكر الوجه بمعنى العين، قال الله تعالى[٧]: ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا﴾ [يوسف: ٩٣]، أي: على عينيه. ثم لا يبعد قلب العادة غدًا، حتى يخلق الرؤية والنظر في الوجه، وهو كقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾ [الملك: ٢٢]، فقيل: يا رسول الله!

---

(١) البيت لجميل، وهو في ديوانه ص ١٠٩ ، وفيه: بما، بدل: لما. والمكثر، بدل: الموسر.

(٢) ٨/ ٤٨٢ وما بعدها.

(٣) في (م): بها.

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٠٧ .

(٥) في (د) و(ز) و(م): نقمه، والمثبت من (ظ) و(ي).

(٦) قوله: لأن العين في الوجه، ليس في (د) و(م).

(٧) بعدها في (ظ): حكاية عن يوسف.

كيف يمشون في النار على وجوههم؟ قال: «الذي أمشاهم على أقدامهم قادرٌ على[١] أن يُمشيَهم على وجوههم»[٢].

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ أي: وجوه الكفار يوم القيامة كالحةٌ كاسفةٌ عابسة. وفي الصحاح: وبَسَر الفحلُ الناقةَ وابتسرها: إذا ضربها من غير ضَبَعَة[٣]. وبَسَر الرجلُ وجهَه بُسورًا، أي: كَلَح، يقال: عَبَسَ وبَسَر[٤]. وقال السُّديّ: «بَاسِرَةٌ» أي: متغيرة[٥]، والمعنى واحد.

﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ أي: تُوقن وتعلم، والفاقرة: الداهية والأمر العظيم؛ يقال: فَقَرَتْه الفاقرة، أي: كسرت فَقَار ظهره[٦]. قال معناه مجاهد وغيره. وقال قتادة: الفاقرة: الشَّرّ[٧]. السُّدِّيّ: الهلاك[٨]. ابن عباس وابن زيد: دخول النار[٩]. والمعنى متقارب. وأصلُها الوسم على أنف البعير بحديدة أو نار حتى يَخْلص إلى العظم. قاله الأصمعي[١٠]. يقال: فَقَرتُ أنفَ البعير: إذا حززتَه بحديدة ثم جعلتَ على موضع الحزِّ الجَرِيرَ[١١]. وعليه وَتَرٌ مَلْويٌّ؛ لِتُذلِّلَه بذلك وتَرُوضَه، ومنه قولهم: قد عَمِل به الفاقرة[١٢]. وقال النابغة:

---

(١) لفظة: على، من (د) و(ظ).

(٢) أخرجه أحمد (٨٧٥٥)، والترمذي واللفظ له (٣١٤٢)، من حديث أبي هريرة ﷺ. وأخرجه أيضاً أحمد (١٢٧٠٨)، والبخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٢٨٠٦) من حديث أنس ﷺ.

(٣) الضَبَعَة: هو شدة شهوة الناقة للفحل. الصحاح (ضبع).

(٤) الصحاح (بسر).

(٥) النكت والعيون ٦/ ١٥٧ .

(٦) الصحاح (فقر).

(٧) أخرج قوله وقول مجاهد الطبري ٢٣/ ٥١١ - ٥١٢ .

(٨) النكت والعيون ٦/ ١٥٧ .

(٩) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥١٢ عن ابن زيد .

(١٠) تهذيب اللغة ٩/ ١١٦ .

(١١) هو حبل من أَدَم يخطم به البعير. اللسان (جرر).

(١٢) الصحاح (فقر).

أَبَى لِيَ قَبْرٌ لا يَزالُ مُقَابِلِي وضَرْبَةُ فَأْسٍ فوقَ رأْسِيَ فَاقِرَهْ[١]

أي: كاسرة.

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ «كَلَّا» رَدْعٌ وزَجْر، أي: بعيدٌ أن يؤمن الكافر بيوم القيامة؛ ثم استأنف فقال: ﴿إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ أي: بلغت النفس أو الروح التراقي، فأخبر عمَّا لم يجر له ذكر؛ لعلم المخاطب به[٢]، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢]، وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ [الواقعة: ٨٣]، وقد تقدَّم[٣].

وقيل: «كَلَّا» معناه حقًّا[٤]، أي: حقًّا أنَّ المَساق إلى الله إذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ، أي: إذا ارتقت النفس إلى التراقي. وكان ابن عباس يقول: إذا بلغت نفس الكافر التراقي. والتراقي جمعُ تَرْقُوة: وهي العظامُ المكتنفة لنُقْرة النَّحر، وهو مقدَّم الحَلْق من أعلى الصدر، موضعِ الحَشْرجة، قال دُرَيد بن الصِّمَّة:

ورُبَّ عَظِيمةٍ دافَعْتَ عَنْهُم وقَدْ بَلَغَتْ نُفُوسُهُمُ التَّرَاقي[٥]

وقد يُكْنى عن الإشفاء على الموت ببلوغ النفس التراقي[٦]، والمقصودُ تذكيرُهم

---

(١) ديوان النابغة الذبياني ص ٧٠.

(٢) تفسير الرازي ٣٠/ ٢٣٠.

(٣) ١٨/ ١٩٣، ٢٠/ ٢٢٩.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٩٢، وتفسير أبي الليث ٣/ ٤٢٧.

(٥) كذا نسبه المصنف لدريد بن الصمَّة، ونسبه إليه أيضاً الرازي في تفسيره ٣٠/ ٢٣٠، ونسبه ابن هشام في السيرة النبوية ٢/ ٤٥٤، وياقوت الحموي في معجم البلدان ٣/ ٢٥٨، والصفدي في الوافي بالوفيات ١٤/ ١٢ لعمرة بنت دريد بن الصمة؛ قالته في قصيدة لها ترثي بها أباها.

(٦) زاد المسير ٨/ ٤٢٤.

شدَّةَ الحال عند نزول الموت.

قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ اختُلف فيه، فقيل: هو من الرُّقية؛ عن ابن عباس وعكرمةَ وغيرهما[١]. روى سِمَاك عن عكرمة قال: مَن راقٍ يَرْقي؟ أي: يَشْفي[٢]. وروى ميمون بن مِهران عن ابن عباس: أي: هل من طبيب يَشْفِيه. وقاله أبو قِلابة وقتادة[٣]. وقال الشاعر:

هَلْ لِلْفَتَى مِنْ بَنَاتِ الدَّهْرِ مِنْ وَاقِ أَمْ هَلْ لَهُ مِنْ حِمَامِ المَوْتِ مِنْ رَاق[٤]

وكان هذا على وجه الاستبعاد واليأس، أي: مَن يَقدِر أن يَرْقي من الموت.

وعن ابن عباس أيضًا وأبي الجوزاء أنه من رَقِيَ يَرْقَى: إذا صَعِد، والمعنى: مَن يَرقَى بروحه إلى السماء؟ أملائكةُ الرَّحمة أم ملائكةُ العذاب[٥]؟

وقيل: إن مَلَك الموت يقول: مَن راقٍ؟ أي: مَن يَرْقَى بهذه النفس، وذلك أنَّ نفس الكافر تكره الملائكةُ قربها، فيقول مَلَك الموت: يا فلان اصعد بها[٦].

وأظهر عاصم وقومٌ النون في قوله تعالى: «مَنْ رَاقٍ»، واللَّامَ في قوله: «بَلْ رَانَ»[٧] لئلا يُشبِه مَرَّاق وهو بائع المَرَقة، وبَرَّان في تثنية البَرّ. والصحيحُ ترك الإظهار، وكسرةُ القاف في: «مَنْ رَاق»، وفتحةُ النون في: «بَلْ رَانَ» تكفي في زوال اللَّبس. وأمثل ممَّا ذُكِر: قصدَ الوقف على «مَنْ» و«بَلْ»، فأَظْهَرَهما. قاله القشيريّ[٨].

---

(١) أورده بنحوه عن ابن عباس الماورديُّ في النكت والعيون ٦/ ١٥٧، وعن عكرمة ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤٢٤.

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥١٣.

(٣) أخرج قول أبي قلابة الطبري ٢٣/ ٥١٣، وأخرج قول قتادة عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٣٣٥.

(٤) أورده ابن قتيبة في عيون الأخبار ٢/ ٣٠٨، وابن عبد ربه في العقد الفريد ٣/ ٢٤٤، وأبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال ٢/ ٣٥٩ ونسبوه ليزيد بن خَذَّاق.

(٥) أخرجه عنهما الطبري ٢٣/ ٥١٤ بنحوه.

(٦) ينظر تفسير الرازي: ٣٠/ ٢٣١.

(٧) السبعة ص٦٦١، ٦٧٥، والتيسير ص١٤٢.

(٨) أورد الرازي في تفسيره ٣٠/ ٢٣١ نحو هذا القول عن الواحدي، قال: والوجه أن يقال: قَصدَ ـ يعني عاصماً ـ الوقف على (مَن) و(بل)، فأظهرهما ثم ابتدأ بما بعدهما.

قوله تعالى: ﴿وَظَنَّ﴾ أي: أيقن الإنسان ﴿أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾ أي: فراقُ الدنيا والأهل والمال والولد، وذلك حين عاين الملائكة. وقال الشاعر:

فَرَاقٌ لَيْسَ يُشْبِهُهُ فِرَاقُ قد انقطع الرجاءُ عن التَّلَاقِ

﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ أي: فاتصلت الشدَّة بالشدَّة؛ شدَّةُ آخر الدنيا بشدة أوَّل الآخرة. قاله ابن عباس والحسن وغيرهما[١]. وقال الشعبي وغيره: المعنى: التفَّت ساقا الإنسان عند الموت من شدَّة الكرب[٢]. وقال قتادة: أَمَا رأيته إذا أشرف على الموت يضرب إحدى رجليه على الأخرى[٣]. وقال سعيد بن المسيِّب والحسن أيضاً: هما ساقا الإنسان إذا التفَّتا في الكفن[٤]. وقال زيد بن أسلم: التفَّتْ ساق الكفن بساق الميت. وقال الحسن أيضاً: ماتت رجلاه ويبست ساقاه فلم تحملاه، ولقد كان عليهما جوَّالاً[٥].

قال النحاس: القولُ الأوّل أحسنُها. وروى عليُّ بن أبي طلحة عن ابن عباس: «وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ» قال: آخر يوم من الدنيا وأوّل يوم من الآخرة، فتلتقي الشدَّة بالشدَّة إلَا من رحمه الله[٦]، أي: شدَّةُ كرب الموت بشدَّة هول المَطْلع، والدليل على هذا قولُه تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾. وقال مجاهد: بلاء ببلاء[٧]. يقول: تتابعت عليه الشدائد[٨]. وقال الضحاك وابن زيد: اجتمع عليه أمران شديدان: الناسُ يُجهِّزون جسده، والملائكة يُجهِّزون رُوحه[٩]، والعرب لا تذكر الساق إلا في المِحن

(١) أخرجه عنهما الطبري ٢٣/ ٥١٦ .

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥١٩ .

(٣) تفسير الرازي ٣٠/ ٢٣٢ .

(٤) المصدر السابق، وأخرج قول الحسن الطبري ٢٣/ ٥١٩ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ١٥٨ .

(٦) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥١٦ .

(٧) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٢١ .

(٨) نسب هذا القول البغوي في تفسيره ٤/ ٤٢٤ لسعيد بن جبير.

(٩) أورده عن الضحاك البغوي في تفسيره ٤/ ٤٢٥ ، وعن ابن زيد الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٥٨ .

والشدائد العظام، ومنه قولهم: قامت الدنيا على ساق، وقامت الحرب على ساق. قال الشاعر:

وقامتِ الحربُ بنا على ساق[١]

وقد مضى هذا المعنى في آخر سورة «ن وَالْقَلَم»[٢].

وقال قوم: الكافر تُعَذَّب روحه عند خروج نفسه، فهذه الساق الأولى، ثم يكون بعدها[٣] ساقُ البعث وشدائده. ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: إلى خالقك ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ٱلْمَسَاقُ﴾ أي: المرجع. وفي بعض التفاسير قال: يسوقه مَلَكه الذي كان يحفظ عليه السيئات. والمَسَاق: المصدر مِن ساق يسوق، كالمَقالِ مِن قال يقول[٤].

قوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ أي: لم يصدِّق أبو جهل ولم يصلِّ[٥]. وقيل: يرجع هذا إلى الإنسان في أوَّل السورة، وهو اسم جنس[٦]. والأوَّل قولُ ابن عباس. أي: لم يصدِّق بالرسالة، «وَلَا صلَّى»: دعا لربِّه[٧]، وصلَّى على رسوله. وقال قتادة: فلا صدَّق بكتاب الله، ولا صلَّى لله[٨]. وقيل: ولا صدَّق بمال له ذُخرًا له عند

---

(١) سلف ١/ ٢٥٣.

(٢) ص١٧٥ وما بعدها من هذا الجزء.

(٣) في النسخ: بعدهما.

(٤) تفسير الرازي ٣٠/ ٢٣٢.

(٥) بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٦.

(٦) ينظر الكشاف ٤/ ١٩٣.

(٧) في (م): ودعا لربه.

(٨) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٢٣.

الله[١]، ولا صلَّى الصلواتِ التي أمره الله بها. وقيل: فلا آمن بقلبه ولا عمل ببدنه[٢].

قال الكسائي: «لَا» بمعنى لم، ولكنه يُقرن بغيره، تقول العرب: لا عبدُ الله خارج ولا فلان، ولا تقول: مررت برجل لا مُحْسِن، حتى يقال: ولا مُجْمِل، وقولُه تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ [البلد: ١١]، ليس من هذا القبيل؛ لأن معناه: أفلا اقتحم، أي: فهلَّا اقتحم، فحذف ألف الاستفهام[٣].

وقال الأخفش: «فَلَا صَدَّق» أي: لم يصدِّق[٤]، كقوله: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ﴾ [البلد: ١١] أي: لم يقتحم، ولم يشترط أن يُعْقِبه بشيء آخر، والعرب تقول: لا ذَهَبَ، أي: لم يذهب، فحرفُ النفي ينفي الماضي كما ينفي المستقبل، ومنه قول زهير:

فَـلَا هُـوَ أَبْـدَاهَـا وَلَـمْ يَـتَـقَـدَّمِ[٥]

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ أي: كذَّب بالقرآن وتولَّى عن الإيمان ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾ أي: يتبختر افتخارًا بذلك. قاله مجاهد وغيره. مجاهد: المراد به أبو جهل[٦]. وقيل: «يَتَمَطَّى» مِن المَطَا وهو الظَّهْر، والمعنى: يَلْوي مَطَاه. وقيل: أصلُه يتمطَّط، وهو التمدُّد من التكسُّل والتثاقل[٧]، فهو يتثاقل عن الداعي إلى الحقّ، فأُبدل من الطاء ياءً كراهة التضعيف[٨]، والتمطي يدلُّ على قلَّة الاكتراث، وهو التمدُّد، كأنه يمدُّ ظهره ويلويه من التبختر.

---

(١) ذكر ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٧ أن القول الذي قبله أصوب.

(٢) أورد هذا القول الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٥٨ .

(٣) ينظر قول الكسائي في تفسير الرازي ٣٠/ ٢٣٣ .

(٤) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٧٢١ .

(٥) ديوان زهير ص٢٢ ، وهذا عجز البيت، وصدره: وكان طوى كَشْحًا على مُسْتَكِنَّة.

(٦) أخرج قولي مجاهد الطبري ٢٣/ ٥٢٤ .

(٧) الكشاف ٤/ ١٩٣ .

(٨) ينظر تفسير غريب القرآن ص٥٠١ ، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٧٩ .

والمَطِيطة: الماء الخاثر في أسفل الحوض[١]؛ لأنه يتمطى، أي: يتمدَّد، وفي الخبر: «إذا مشت أمَّتي المُطَيْطَاءَ، وخَدَمَتْهُم فارس والروم، كان بأسُهم بينهم»[٢].

والمُطَيْطاء: التبختُر ومدُّ اليدين في المشي.

قوله تعالى: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ . ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾: تهديدٌ بعد تهديد، ووعيد بعد وعيد، أي: فهو وعيد أربعة لأربعة، كما رُويَ أنها نزلت في أبي جهلٍ الجاهلِ بربِّه فقال: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ . وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ أي: لا صدَّق رسولَ الله، ولا وقف بين يديَّ فصلَّى، ولكنْ كذَّب رسولي، وتولَّى عن التصلية[٣] بين يديّ. فتَرْكُ التصديق خَصْلةٌ، والتكذيبُ خَصْلة، وتركُ الصلاة خَصْلة، والتولي عن الله تعالى خَصْلة، فجاء الوعيد أربعةً مقابِلةً لترك الخصال الأربعة. والله أعلم. لا يقال: فإن قوله: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾ خَصْلةٌ خامسة، فإنَّا نقول: تلك كانت عادته قبل التكذيب والتولِّي، فأخبر عنها. وذلك بَيِّنٌ في قول قتادة على ما نذكره.

وقيل: إنَّ رسول الله ﷺ خرج من المسجد ذات يوم[٤]، فاستقبله أبو جهل على باب المسجد، ممَّا يلي باب بني مخزوم، فأخذ رسول الله ﷺ بيده، فهزَّه مرَّةً أو مرتين، ثم قال: «أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى» فقال له أبو جهل: أتهدِّدُني؟ فوالله إني لَأَعَزُّ أهل الوادي وأَكْرَمُه. ونزل على رسول الله ﷺ كما قال لأبي جهل[٥]. وهي كلمة وعيد. قال الشاعر:

---

(١) الصحاح (مطط).

(٢) صححه ابن حبان (٦٧١٦) من حديث خولة بنت قيس، وأخرجه الترمذي (٢٢٦١)، وابن عدي في الكامل ٦/ ٢٣٣٥ ، والعقيلي في الضعفاء ٤/ ١٦٢ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. قال الترمذي: حديث غريب. وينظر ميزان الاعتدال ٣/ ٥٣٨، وفيض القدير ١/ ٤٤٥.

(٣) كذا. وفي القاموس: صلى صلاةً، لا تصلية.

(٤) في (ز) و(ظ) و(ي): ذات ليلة.

(٥) الوسيط للواحدي ٤/ ٣٩٦، وتفسير البغوي ٤/ ٤٢٥، والنكت والعيون للماوردي ٦/ ١٥٩، وسلف نحوه ١٩/ ١٣٥ - ١٣٦ .

فَأَوْلَى ثم أَوْلَى ثم أَوْلَى وهَلْ لِلدَّرِّ يُحْلَبُ من مَرَدِّ[١]

قال قتادة: أقبل أبو جهل بنُ هشام يتبختر، فأخذ النبيُّ ﷺ بيده فقال: «أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى، ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى». فقال: ما تستطيع أنت ولا ربك لي شيئًا، إني لأعزُّ مَنْ بينَ جبليها. فلمَّا كان يوم بَدْر أشرف على المسلمين فقال: لا يُعْبَد الله بعد هذا اليوم أبدًا، فضرب الله عنقه، وقتله شرَّ قِتْلة[٢].

وقيل: معناه: الويل لك، ومنه قول الخنساء:

هَمَمْتُ بنفسيَ كُلَّ الهُمُوم فأَوْلَى لِنَفْسيَ أَوْلَى لَهَا
سَأَحْمِلُ نفسي على آلةٍ فإمَّا عليها وإمَّا لَهَا[٣]

الآلة: الحالة، والآلة: السرير أيضًا الذي يُحمل عليه الميت[٤]، وعلى هذا التأويل قيل: هو من المقلوب، كأنه قيل: أَوْيَل، ثم أُخِّر الحرف المعتل، والمعنى: الويل لك حيًّا، والويل لك ميتًا، والويل لك يوم البعث، والويل لك يوم تدخل النار، وهذا التكرير كما قال:

لَكَ الْوَيْلَاتُ إِنَّكَ مُرْجِلي[٥]

أي: لك الويلُ، ثم الويلُ، ثم الويلُ، وضُعِّف هذا القول.

وقيل: معناه الذمُّ لك أَوْلى من تركه، إلا أنه كثير في الكلام فحذِف. وقيل: المعنى أنت أولى وأجدرُ بهذا العذاب[٦].

---

(١) البيت لعبد الله بن الزبير، وهو في الأغاني ١٤/ ٢٣٧، وسلف ١٩/ ٢٧٠.

(٢) أخرجه عن الرزاق في تفسيره ٢/ ٣٣٤-٣٣٥، الطبري ٢٣/ ٥٢٥.

(٣) ديوان الخنساء ص١٢١.

(٤) النكت والعيون ٦/ ١٥٩.

(٥) قطعة من بيت لامرئ القيس، وتمامه:

ويومَ دخلتُ الخِدْر خِدْرَ عُنيزةٍ فقالت لك الويلاتُ إنك مُرْجِلي

وهو في ديوانه ص١١، وسلف ٢/ ٢٢١.

(٦) ذكر هذا القول البغوي في تفسيره ٤/ ٤٢٥.

وقال أبو العباس أحمد بن يحيى: قال الأصمعي: «أَوْلَى» في كلام العرب معناه: مُقَاربة الهلاك[١]، كأنه يقول: قد وَلِيتَ الهلاك، قد دَانَيْتَ الهلاكَ، وأصلُه من الوَلْي، وهو القُرْب، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾[٢] [التوبة: ١٢٣]، أي: يَقرُبُون منكم، وأنشد الأصمعي:

وَأَوْلَـى أن يـكـون لـه الـولَاءُ[٣]

أي: قارب أن يكون له، وأنشد أيضًا:

أَوْلَى لِمَنْ هاجَتْ لَهُ أَنْ يَكْمَدَا[٤]

أي: قد دنا صاحبها [من][٥] الكمد. وكان أبو العباس ثعلبٌ يستحسن قول الأصمعيِّ ويقول: ليس أحد يفسِّر كتفسير الأصمعي.

النحاس: العرب تقول: أَوْلى لكَ: كِدتَ تَهلِك ثم أَفْلَتَّ، وكأنَّ تقديره: أولى لك وأولى بك الهلكة[٦].

المهدويُّ: قال: ولا تكون أَوْلى: أَفْعَل منك، وتكون خبر مبتدأ محذوف، كأنه قال: الوعيد أولى له من غيره؛ لأن أبا زيد قد حكى[٧]: أَوْلَاةُ الآن: إذا أَوْعَدوا. فدخولُ علامة التأنيث دليلٌ على أنه ليس كذلك. و«لَكَ» خبرٌ عن «أَوْلَى». ولم ينصرف «أَوْلَى»؛ لأنه صار علمًا للوعيد، فصار كرجل اسمه أحمد[٨].

---

(١) أورد قول الأصمعي الجوهري في الصحاح (ولي).

(٢) ينظر تفسير البغوي ٤/ ٤٢٥ .

(٣) لم نقف عليه، وأورده الألوسي في روح المعاني ٢٩/ ١٤٩ .

(٤) قائله ذو الرُّمة، وهو في ديوانه ١/ ٢٩١ ، وهو صدر بيت، وعجزه: أَوْلى وإن كانت خلاءً بيِّدا.

(٥) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٦) بنحوه في معاني القرآن له ٦/ ٤٨٠ .

(٧) في النوادر في اللغة ص٢٦٠ .

(٨) ينظر الإملاء للعكبري بهامش الفتوحات الإلهية ٤/ ٤٣٥ .

وقيل: التكرير فيه على معنى: الذَّمُّ[١] لك على عملك السَّيِّئ الأوّل، ثم على الثاني، والثالث، والرابع، كما تقدَّم.

قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣٩ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۝٤٠﴾

قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي: يظنُّ ابن آدم ﴿أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ أي: أن يُخلَّى مُهملًا، فلا يُؤمَرُ ولا يُنهَى. قاله ابن زيد ومجاهد[٢]، ومنه: إبلٌ سُدًى: ترعى بلا راعٍ. وقيل: أيحسب أن يُترك في قبره كذلك أبدًا لا يُبعَث. وقال الشاعر:

فأُقْسِمُ باللَّهِ جهدَ اليمِيـ ـنِ ما تَرَكَ اللهُ شيئًا سُدَى[٣]

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ أي: من قطرةِ ماء تُمنَى في الرَّحِم، أي: تُراق فيه؛ ولذلك سُمِّيت «مِنًى» لإراقة الدماء. وقد تقدَّم[٤]. والنطفة: الماء القليل، يقال: نَطَف الماء: إذا قطر. أي: ألم يكُ ماءً قليلًا في صُلْب الرجل وترائب المرأة.

وقرأ حفص: «مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى» بالياء، وهي قراءة ابن محيصن ومجاهدٍ ويعقوبَ[٥] وعبَّاس عن أبي عمرو[٦]، واختاره أبو عبيد لأجل المنيّ. الباقون بالتاء لأجل النطفة، واختاره أبو حاتم.

---

(١) في (د) و(م): الزم.

(٢) أخرج قولهما الطبري ٢٣/ ٥٢٦ .

(٣) أورده الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٦٠ ولم ينسبه.

(٤) ٢٠/ ٦٠ ، و٢٠٧ .

(٥) السبعة ص٦٦٢ ، والتيسير ص٢١٧ ، والنشر ٢/ ٣٩٤ . وقراءة ابن محيصن في المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٧.

(٦) كذا ذكر المصنف، وفي السبعة لابن مجاهد ص٦٦٢ عن عباس ـ وهو ابن الفضل الواقفي ـ عن أبي عمرو أنه قرأ بالتاء، وذكر عن أبي زيد عنه أنه قرأ بالتاء والياء، وذكر أبو عمرو الداني في جامع البيان ٢/ ٤٦٥ القراءة بالياء لأبي عمرو من رواية عبد الوارث وشجاع عنه، والقراءة المشهورة عن أبي عمرو بالتاء، ووقع في (د) و(م): عياش، بدل: عباس، وهو خطأ.

﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً﴾ أي: دماً بعد النطفة، أي: قد نبَّه[١] تعالى بهذا كلِّه على خِسَّة قدره. ثم قال: ﴿فَخَلَقَ﴾ أي: فقدَّر ﴿فَسَوَّىٰ﴾ أي: فسوَّاه تسويةً، وعدَّله تعديلًا، بجعل الروح فيه ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ﴾ أي: من الإنسان. وقيل: من المنيّ. ﴿ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ أي: الرجل والمرأة. وقد احتجَّ بهذا مَن رأى إسقاط الخُنثى. وقد مضى في سورة الشورى[٢] أنَّ هذه الآية وقرينتَها إنما خرجتا مخرج الغالب[٣]. وقد مضى في أول سورة النساء أيضًا القولُ فيه، وذكرنا في آية المواريث حكْمَه[٤]، فلا معنى لإعادته.

﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ﴾ أي: أليس الذي قَدَرَ على خلق هذه النَّسَمة من قطرة من ماء ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي: على أن يعيد هذه الأجسام كهيئتها للبعث بعد البِلَى. ورُوِيَ عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قرأها قال: «سبحانك اللَّهم، بَلَى»[٥].

وقال ابن عباس: مَن قرأ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] إمامًا كان أو غيرَه، فليقل: سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى. ومَن قرأ: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة: ١] إلى آخرها، إمامًا كان أو غيرَه، فليقل: سبحانك اللَّهُمَّ، بَلَى. ذكره الثعلبيُّ من حديث أبي إسحاق السَّبِيعيِّ، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس[٦].

ختمت السورة والحمدُ لله.

---

(١) في (ز): قدر، وفي (د) و(م) و(ي): رتبه. والمثبت من (ظ).

(٢) ١٨/٥٠٥ وما بعدها.

(٣) ٦/٧ ، ١٠٩ وما بعدها.

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٨٤ .

(٥) أخرجه الطبري ٢٣/٥٢٨ عن قتادة مرسلاً.

(٦) أخرجه عبد الرزاق (٤٠٥١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢١٠٠). وأخرج الشطر الأول منه أبو داود (٨٨٣) من طريق وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن مسلم البَطِين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مرفوعاً. قال أبو داود: خولف وكيع في هذا الحديث، رواه أبو وكيع وشعبة، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس موقوفاً.